بسم الله الرحمن الرحيم

المشورة -23-

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد، وآله وصحبه أجمعين.

الله تبارك وتعالى يقول:-

{سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا} [سورة الأحزاب: 62]

تقرأ في القرآن الكريم:-

{وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا} [سورة الإسراء: 77]

مرّة تجد تبديلا، ومرّة تحويلا إلى آخره، إذنْ هنالك سنن في الخلق والتكوين، وحتى في التشريع، هذه السنن إذا الإنسان لم يتفقه فيها، الحقيقة يخطأ كثيرًا، ويقع في مطبّات عظيمة جدًّا، فلذلك من الضرورة بمكان الالتفات إلى سنن الرحيم الرحمن جلّ جلاله في الخلق والتكوين، فمثلًا نجد أنّ الله عزّ وجلّ من سننه أنْ يجعل نواة لما يريد خلقه ولما يريد تشريعه.

يعني: في الخلق مثلًا، الله تبارك وتعالى قال بعد أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم:-

{أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ۞ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۞ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۞ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ} [سورة المرسلات: 20 - 23]

صدق اللهِ مولانا العظيم سبحانه، وكثيرة هي النصوص التي تتحدّث عن قضية خلق الإنسان، يعني: بالنظرة الأولى والتشرّف بهذه الآيات:-

{أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ}

أشار إلى مرحلة الضعف، البداية تكون ضعفًا، جدًّا واضحة في الآية الأخرى:-

{اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً} [سورة الروم: 54]

إذنْ هذه من سنن الله تبارك وتعالى أنّ الخلق، أنّ التشريع، أنّ البناء، أنّ التكوين، المرحلة الأولى تكون ضعيفة، فتحتاج إلى رحمة الله جلّ وعلا، هذه النواة لا تعيش ولا تقوى أنْ تعيش إلّا برحمة الله تبارك اسمه وعنايته سبحانه، فلذلك قال:-

{فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ}

إذن هذه النواة، العناية بالنواة، لأنّها نقطة الارتكاز، ومبدأ الانطلاق، لا بُدَّ أنْ تضعه، أنْ تضع هذه النواة، أنْ تضعها في قرار مكين، وهذا القرار المكين يحتاج إلى وقت يتناسب مع هذا الخلق، فهذا خلق يحتاج إلى تسعة شهور غالبًا، وهو الإنسان، وذاك خلق يحتاج إلى أقلّ، وهذا يحتاج إلى أكثر، هذه نواة تحتاج إلى كذا، هذه نواة تحتاج إلى كذا.

فإذنْ وَضْعُ الشيء في المكان الصحيح، في القرار المكين، ولا بُدَّ أنْ يكون هنالك وقت، لأنّ هذه البذرة فيها المقوّمات، فيها الحياة بالقوّة، حتى تخرج إلى الحياة بالفعل، تحتاج إلى وقت، فيها القوّة للنجاة من المخاطر غالبًا، وأحيانا تقع في المخاطر، أنت لمّا تنظر إلى النطفة هي ماء مهين، لكن الله عزَّ وجلَّ جعل هذا الماء المهين في قرار مكين، في رحم المرأة، وجعل هذا المكان آمنًا مصانًا محميًّا محروسًا بإذن الله تبارك وتعالى محافظًا عليه، هذا غالبًا، وأحيانًا يسقط،

سـبحان الله، ويبقى هذا إلى وقت معلوم {فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ} في هذا في التكوين.

كذلك مثلًا: النطفة مثلها مثل بذرة النباتات، البذرة فيها مقوّمات الحياة، فيأتي الفلاح ويضعها في الأرض {فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ} لا يضعها فوق الأرض، فيأتي الطير ويأخذ البذرة هذه، والنواة يغطيها، فيها القابلية أنْ تكون في هذا المقرّ الآمن، لأجل أنْ تنمو وتخرج إلى الحياة في القوّة، أحيانًا تأتي حشائش وأدغال، مع ذلك هي تأخذ يمينًا، وتأخذ يسارًا، وتطلع حتى مع وجود الحشائش، فإذنْ فيها قوّة، هذا في الجانب الظاهر للحياة الدنيا.

نأتي إلى التشريع، نرى ربّ العالمين يريد أنْ يربي الإنسان على منهاج معيّن، على دين معيّن، هذا الدِّين مقوّماته موجودة، مقوماته الأساسية موجودة في الفطرة الإنسانية، فالفطرة هي النواة، فهذه النواة لا بُدَّ أنْ تكون في قرار مكين، فلذلك هذه خطورة، أبواه يهوّدانه، وينصّرانه، ويمجّسانه -نعوذ بالله تعالى-.

خطورة البيئة على الفطرة الإنسانية، فإذنْ في المعنويات هذه الفطرة تعتبرها نواة الدِّين فيجب عليك أنْ تحافظ عليها، هي فيها قوّة، وتذكرون لمّا ذكرتُ لكم القصّة التي حدثت معي في السيّارة، لمّا الإطار كيف انفجر، كيف هذه الفطرة لمّا دنّستها المؤذيات الخارجية وغطّتها، لكن ما لا تستطيع أنْ تقضي عليها كيف ظهرت بنقائها وصفائها بالشدائد:-

{وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} [سورة سيّدنا لقمان عليه السلام: 32]

هذا الدِّين نواة، الله عزّ شأنه جعل هذه النواة في أصل وعمق الجذر الإنساني، في عمق روحه، فالدِّين ليس غريبًا، ليس جسمًا غريبًا، إنّما هو من مكونات شخصية الإنسان، وهذا من رحمة الله عزّ وجلّ بالإنسان.

فإذن: الالتفات إلى سنّة الله جلّ وعلا في الخلق والتكوين والتشريع، هذه الالتفاتة ضرورية جدًّا للدعاة إلى الله سبحانه، إذنْ نستطيع أنْ نضع تحت الكلّية الأولى: شخصية الداعي، الالتفات لسنن الله تبارك وتعالى في الكون، وأيضًا نستطيع أنْ نضعها تحت الكلّية الثانية أنّه من معالم الدِّين الذي ندعوا إليه، أنّ هذا الدِّين يوجهنا إلى ضرورة العناية والالتفات الصحيح لسنن الله جلّ جلاله في الكون، نستطيع أنْ نضع ثمرتها في الكلّية الخامسة، إذا الحياة قامت على الفطرة السليمة فيا سلام، تكون حياة آمنة مستقرة مطمئنة، حياة سلام وأمان، وهي الحياة التي يريدها الرحيم الرحمن جلّ ذكره لخلقه، فما خَلَقَنا لأجل أنْ نتقاتل ونتعارك، إنّما خَلَقنا سبحانه لأجل أنْ نتعارف ونتآلف، فلذلك رأينا لو بالمرحلة الأولى لأنّها: مرحلة البداية مرحلة الضعف.

الإنسان يحتاج في كلّ مراحل حياته إلى رحمة الله عزَّ وجلَّ، لكن النسبة تختلف من مرحلة إلى مرحلة، رأينا كيف أنّ في المرحلة الأولى سيّدنا النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم باعتباره هو أُنموذج الدعاة في هذه الحياة، كيف أنّ الله عزَّ وجلَّ حفظ هذه النواة له، الفطرة، فاختار له الأبوين، اختار له: عبد الله وآمنة، عبد الله في مجتمع معظمه، 95% إذا لم تكن 99% يعبدون اللات والعزّى، ما اختار له والدًا اسمه عبد اللات، ولا عبد العزى في بيئة -نعوذ بالله تبارك وتعالى- متفلتة، تعيش وتهبط إلى أخسّ من وضع الحيوانات -أجلّكم الله- في العلاقات بين النّساء والرجال، الله عزَّ وجلَّ اختار له الطاهرة النقيّة واسمها

آمنة أمّاً، بنت وهب، يا الله من الموهبة، من الهبة، من العطاء، من الكنز، من كلّ ما يُسر القلب، ويفرح القلب، فعبد الله وآمنة، ويأتي سيّدنا محمّد صلّى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصحبه أهل الفضل والمجد.

انظروا حماية الله عزَّ وجلَّ وحراسته، المرضعة حليمة، الموضع بنو سعد، من السعادة والى آخرها، فهذه في المرحلة الأولى نرى عناية الله تبارك وتعالى.

وِقَايَةُ اللهِ أغْنَتْ عَنْ مُضَاعَفَةٍ *** مِنَ الدروْعِ وَعَنْ عَالٍ مِنَ الْأطُمِ

فإذنْ حفظ هذه النواة، هذه الفطرة، ثمّ زيادة قابلياتها، دعمها بالمقومات، ومنها شرح الصدر، وأشياء أخرى وأخرى لا تغيب عن نواظركم الكريمة، فأرجو أنْ تقرأوا سيرة الحبيب صلّى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصحبه أهل الطيب، قراءة مستفيضة، فإذنْ هكذا في التشريع، في بناء شخصية الداعي إلى الله عزَّ وجلَّ، بعد ذلك نرى في المرحلة الثانية بعدما هذه الفطرة حوفظ عليها من المؤثرات الخارجية، وقويت هذه الفطرة وتألقت أكثر وأكثر، وازدادت نورًا على نور بشرح الصدر وتعبئته بالنور، جاءت المجاهدة من العبد نفسه بدوافع عُبِّرَ عنها كما ذكرتُ في المحاضرات السابقة، بالفعل المبني للمجهول، فحُبِّبَ إليه الخلاء، جاءت هنا الخلوة: التأمّل، إنسان يسرق نفسه من معمعة الحياة واضطرابات الحياة، ويجلس وحيدًا فريدًا متأمّلًا مدقّقًا ناظرًا بعيني رأسه، وعيني عقله، وبصيرة قلبه إلى وضعه، ممتزجًا هذا التأمّل بالتعبّد المطلق، التعبّد المطلق لا توجد فيه شروط، الصلاة كيفما كان، ذكر الله عزَّ وجلَّ، وهكذا ثمّ جاء الدعم الربّاني أيضًا لأنّ الذي دخل الخلوة وتحنّث فيها، تأهّل لأنْ يتلقى بركات ربّ العالمين سبحانه، وتقوية ربّ العالمين جلّ وعلا، وهداية ربّ العالمين عزّ شأنه إلى الأسباب التي تقوّي هذه الفطرة، وتبني هذه الشخصية،

فنزلت الآيات الأولى، والسور الأولى، وبدأ التكليف المنضبط الذي فيه قواعد، وفيه شعائر، وفيه أوقات، وفيه شروط وإمكانات، وهكذا، فإذن الذي نفهمه من هذه المراحل، ونحن نسير معها خطوة خطوة، أنّه: هكذا تُنَشَّأ شخصية الداعي إلى الله سبحانه وتعالى.

بعد ذلك، بعدما هذه البذرة، هذه الفطرة ثُبّتت على أشـــدّ الثبات، وبدأت تنبت بإذن الله جلّ في علاه طالما بدأت الثمرة ســـوف تأتي المعوقات، لأنّه لا يُرمى إلّا مَنْ به ثمر، فلمّا قال عليه الصلاة والتسليم وآله وصحبه أجمعين:-

(فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ) الإمام البخاري رحمه الباري سبحانه

أو قبل ذلك لمّا عرفوا أنّه يقول: إنّي رســـول الله صـــلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، وإنّه أتاني جبريل، وإنّ ورقة بن نوفل رضي الله تعالى عنه قال كذا وكذا، وإنّ زوجته الحرّة الطاهرة الأبيّة النقيّة رضي الله تعالى عنها قالت:-

(وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا) الإمام البخاري رحمه الله عزّ وجلّ.

فبدأوا يسمعون هذه الأخبار، وهذه الأنباء، مباشرة ظهرت المعارضة، جاءت المعوّقات، هذه سنّة الله تبارك اسمه في كلّ المجالات.

حتى -سبحان الله- انظروا الجنين اكتمل نموّه، وأكمل تسعة أشهر، سوف يأتي إلى هذه الدنيا، يولد أوّل ما يولد يصرخ. الرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام وآله وصحبه الكرام، بيّن في حديث صحيح:-

(مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا نَخَسَهُ الشَّيْطَانُ، فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِنْ نَخْسَةِ الشَّيْطَانِ، إِلَّا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ) الإمام مسلم رحمه المنعم جلّ وعلا.

الشيطان نخسه، يعني: ضرب الطفل في خاصرته، حتى يقول له: أنت جئت إلى حياة فيها معوّقات، فصرخ وبكى، أنت الآن تعيش في مرحلة فيها معوّقات،

فلذلك بمجرّد أنّ الرسول الأعظم صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، أعلن عن نبوّته، بمجرّد الإعلام بأيّ شكل من أشكال الإعلان مباشرة ظهرت المعارضة، فنحن يجب أنْ نفهمها، لا تستغرب يا فضيلة الشيخ لمّا تأتي تحدّث واحدًا بضرورة الالتزام بشرع الله تبارك وتعالى، وضرورة البحث عن مرشد، وأنّ البيعة في حياة المسلم ركن ركين من أركان الدِّين، لا تستغرب أنْ يخرج لك أشكال وأنواع، آراء، ومعارضة، ومهاترة، وإيذاء، وطعن، وغمز، ولمز، فلا تستغرب، هذه مسألة طبيعية، هذه نزغات الشيطان -نعوذ بالله جلّ في علاه- لأولياء الرحمن سبحانه.

فإذنْ هنا نحتاج إلى ماذا؟ نحتاج إلى الصبر، فلذلك في المرحلة الثانية والمرحلة الثالثة في بدايات ما أنزل، جاء التأكيد على الصبر، جاء التأكيد على الصبر قولًا وفعلًا، وصبر الصابرون، لكن هذا لا يعني أنّهم لا يبحثون عن وسائل النجاة، لا، لا بُدَّ من وسائل النجاة، فالنبتة لمّا ضايقتها الحشائش وغيرها، حاولت أنْ تخرج، يأتيها مدد ربّما من الفلاح يأتي ويرفع زرعة متطفلة على هذه النبتة إلى آخره، لكن حتى لو هذه ما تمّت بشكل تامّ وكامل، فهي تحاول أنْ تخرج وتثبت وتصبر، صابر أنت أيّها الداعي؟ ينبغي عليك أنْ تفهم المرحلة الثالثة بأنّها مرحلة صبر ومصابرة ومرابطة فتصبر وتصابر، ترابط وتبني هذه المجاهدة على ساق التقوى، لأجل أنْ تصل إلى الفلاح والهدى قال تبارك اسمه:-

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [سورة آل عمران عليهم السلام: 200]

نرى أنّه في هذه المرحلة الثالثة ظهرت معالم، منها: الحفاظ على النواة، فصار دار الأرقم، سيّدنا الأرقم رضي الله تعالى عنه المأوى الآمن، القرار المكين لحضرة سيّد المرسلين عليه الصلاة والتسليم وآله وصحبه أجمعين، لنواة الدعوة إلى الله ربّ العالمين جلّ وعلا، انظروا الآن بحاجة إلى أنْ يكون في قرار مكين، غير ممكن أنْ يبقى هكذا هدفًا لكلّ مَنْ هبّ ودبّ، لا، لا بُدَّ من قرار مكين، القرار المكين هذا فيه الطمأنينة، فيه الراحة، فيه الفهم عن الله جلّ ذكره، فيه المجال للترقية والتزكية بذكر الله عزَّ وجلَّ، وذكر الحقائق الجديدة التي يحتاج إليها سالكو الطريق إلى الله عزَّ شأنه، والمهاجرون إلى الله سبحانه:-

{وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ} [سورة الصافات: 99]

{فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ} [سورة الذاريات: 50]

هذا القرار المكين يحتاجه الداعي، لا بُدَّ عنده من نقطة انطلاق وارتكاز وقرار مكين.

تحتاج الدعوة إلى الإمامة في الدِّين، الإمامة في الدِّين هي: نقطة الانطلاق، يعني: أنت إذا ما عندك مرجع ترجع إليه، أصل ترتبط به، فأنت تائه، وأنت ضائع، ومن هنا لمّا كتبت رسالة الدكتوراه في سنة 1997 - 1998، دعوت فيها بمرجعية للمؤمنين، وصار اعتراض عليّ من رئيس المناقشة- الله يغفر له ويلطف به- وقال: لا، هذه لغيرنا، هذه الكلمة لا نحبّها، هذه لغيرنا.

على كُلٍّ الطالب ليس دائمًا يقدر يحرج الأستاذ بالمناقشة، فذكرت فيه شيئًا بسيطًا، ردًّا سهلًا بسيطًا، ثمّ لمّا خرجنا جلستُ معه، قلت: له أنت أستاذي وعلى رأسي، درّستني في البكالوريوس والماجستير، والآن أنت رئيس لجنة مناقشة

رسالة الدكتوراه، أنا أحترمك وأجلّك، بل أنا عندما أمرض ولا أستطيع أنْ أخطب، أتصل بك أنت تخطب في جامعي، هذا هو الواقع الذي كنت أعيشه مع الدكتور، قلت له: أنا ما أحببتُ أنْ أحرجك أمام الملأ، وإلّا كلمة المرجع كلمة قرآنية، إذا أخذها أهل الضلال، فلا يعني أنّنا نتركها، هي لنا وذكرتُ له بعض الأدلة.

لكن جاء وقت الإشارة إليه أنّه الرسول الأعظم عليه الصلاة والتسليم وآله وصحبه أجمعين، أو لمّا يؤمن المسلم، لا بُدَّ أنْ يرتبط بالرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام وآله وصحبه الكرام، من خلال الشهادة، الإقرار بالشهادة والبيعة، لا بُدَّ أنْ يبايع على الإسلام، فلذلك ترون كلّ الذين دخلوا في الإسلام في هذه المرحلة يقول له: ابسط يدك لأبايعك. قَبِل الإسلام، الإسلام لا بُدَّ من بيعة، وهذا موضوع جدًّا جدًّا مهمّ، وأنا الآن موجّه بتشكيل لجنة لدراسة ما يجب أنْ نكتبه بشكل مختصر، فيما يتعلّق بالتزكية النبوية الشريفة، وسوف نؤكّد جدًّا على هذه، فقرة المرشد، العالم الرباني، الوارث المحمدي، وبيعته ومعاهدته، فننظر أنّه ظهرت هذه المعالم.

إذن شخصية الداعي، أنْ يكون مبايعًا، أنْ يكون له مرشد، هذه كلّها ظهرت متى؟ في المرحلة، يعني: نهايات المرحلة الثانية، بدايات المرحلة الثالثة صارت ظاهرة جدًّا، ظاهرة شرعية، الكلّ يعرف ذلك، واشتدّت ظهورًا وتألّقًا بعد قيام دار الإسلام لأنّ هذه الأسس لا تتغير، لا تتغير أبدًا طالما النواة حوفظ عليها بالمرحلة الأولى، ثمّ ازدادت تألّقًا وقوّةً لأجل أنْ تظهر ويُعلن عنها في المرحلة الثانية، بمجرّد الإعلان عنها يجب الارتباط بها، يجب الالتفاف حولها،

يجب الاقتراب منها، لماذا؟ لأجل الارتشاف من رحيقها، واستنشاق عطرها، وأكل وشرب خيراتها وبركاتها، لأجل أنْ تقوى أيّها العبد.

يعني: في عالم الظاهر مثلا النبتة، الفلاح جلب البذور، حفظها، الآن شركات التغذية بالبذور، يعتنون بها وكيف عندهم محافظة عليها، عندهم وسائل الحفاظ عليها إلى أنْ يسلّموها للفلاح تامّة كاملة نامية، الفلاح يضعها في الأرض، منذ أنْ وضعها في الأرض، تبدأ العناية، يبدأ التفكير بها، وليس فلّاحًا مَنْ وضع البذرة وتركها، وليس أبًا وليست أمًّا مَنْ شعرت بأنّها حامل ولا تفكّر في حملها، ولا الأب يفكّر في تهيئة الأجواء لهذا الجنين، لا بُدَّ من ارتباط به، لا بُدَّ من الاقتراب، لا بُدَّ من الرعاية والحماية والحراسة، فور ما تخرج تبدأ تثمر، يجب أنْ نذهب لنرتبط بها، لأجل أنْ نأكل ثمرتها، لأجل أنْ نتلذذ بها، لأجل أنْ نتفيّأ بظلالها، إلى آخرها ولله المثل الأعلى، فلذلك ترون هؤلاء المساكين الذين يقولون لك: والله أنا صار لي (30) سنة في المدينة ما ذهبتُ أزور النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، أنت جاف، أنت مسكين، أنت بعيد، تظنّ بأن الدِّين بمجرّد أنّك تركع وتسجد، لا، لا، هذا نقص عظيم، وثلمة كبيرة في الدين، وأمرك خطير، خطير، خطير، يا مسكين، فإذا رأينا أنّه كيف هذا الارتباط بالحبيب صلّى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصحبه أهل الطيب، وارتباط بأعظم عنصر يؤدي إلى قوّة الارتباط، وهو عنصر الحبّ، عنصر الحبّ، فإذن هذه معالم بدأت تظهر على أشدّها.

طيب: المعوّقات ظهرت، القذف، والسبّ، والشتم، والنسبة إلى الضلالة والمجون، وتغيير دين الآباء والأجداد، وتجاوز الخطوط الحمراء للعشيرة والقبيلة، ثمّ إلى الأذى باليد، وإلى آخره، كلّها ظهرت ليقضي الله تعالى أمرًا

كان مفعولا، ليتخذ منكم شهداء، وحتى يعطي الأجر للصابرين، وأيضًا يبيّن أنّ أصل الدين محاولة عدم المخاصمة، وعدم المصادمة، الأصل أنّه أنت تتوجّه إلى الله تبارك وتعالى بسلم وسلام، وأمن وأمان، ولكن إذا قدّر الله عزَّ وجلَّ عليك شيئًا، فينبغي عليك أنْ تصبر ولا تضجر، لذلك لمّا مرَّ النبيّ عليه الصلاة والسلام وآله وصحبه الكرام بآل ياسر ذكّرَهُم

(صَبْرًا آلَ يَاسِر فَإنَّ مَوْعِدَكُم الجَنَّةُ) الإمام الحاكم رحمه الله تعالى.

صبّرَهُم بهذا الأصل الذي هو الصبر، أنتم قدّر الله عزَّ وجلَّ هذا عليكم فاصبروا، وآخر يقول: توكّل على الله أنت أسلمت؟ يقول: والله أسلمت لكن والله لأنادي بها على ملأهم، هذا الرأي أنت اخترته لنفسك، اذهب وتحمّل المسؤولية، لأنّك لست مشرّعًا حتى أنهاك، أنا أريد هذا الصوت أنْ يرتفع بشكل أو بآخر، أريد هذه الثقافة أنْ تنتشر بشكل أو بآخر، إن اخترتَ هذا لنفسك.

انظر مثلًا سيّدنا النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم يأخذ بكلّ أسباب الأمن، والله لو تأتي كلّ الدوائر الأمنية والمؤسسات الأمنية، وشركات الحمايات الخاصة والحراسات ما عندهم هذه الثقافة التي كان الرسول الأعظم عليه الصلاة والتسليم وآله وصحبه أجمعين عليها، اقرأ سيرة الهجرة، كم أخذ ضمانات لأجل أنْ يحافظ على موكبه الشريف، حتى يصل إلى -ويشرّف- أرض المدينة المنورة صلّى الله تعالى وسلّم على ساكنها.

لكن انظر سيّدنا عمر رضي الله تعالى عنه، لأنّه غير مشرّع وقف على ناديهم وقال: مَنْ أراد أنْ ييتّم أولاده، مَنْ أراد أنْ يثكل زوجته أو أباه وأمّه فليتبعني خلف هذا الوادي، هل سيّدنا عمر رضي الله تعالى عنه يا أيّها الذكيّ الفطن،

سيّدنا عمر أشجع من الرسول صلّى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصحبه العدول؟ لا والله، وألف لا، ومليون لا.

لكن الرسول الأعظم صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم مشرّع، لو أنّه هاجر علانية، خلاص كلّ الأمّة، يجب على كلّ الأمّة أنْ تعلن حركاتها، وهذا الخطر الذي قد لا يقدر عليه الإنسان، وليس كلّ واحد منّا هو سيّدنا عمر رضي الله تعالى عنه:-

{لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} [سورة البقرة: 286]

طيّب: إذا ظهرت المعوّقات، كيف نتعامل مع المعوقات؟ بالصبر الجميل، بالهجر الجميل، كلّها فقه في الدعوة إلى الله تبارك وتعالى.

طيّب: ما هي الوسائل التي نذلل بها هذه العقبات؟ بعدها الأمور المعنوية، الصبر أمر معنوي، الاحتساب أمر معنوي، وأنت تقول: والله ضربني على وجهي، الحمد لله، أسْكُتْ لأنّي ممنوع أنْ أرفع يدي عليه، وحتى لو قتل أخي، أنا لا أستطيع أنْ أذهب وأقتله، ممنوع، ما أمرت به.

هذا الاحتساب، هذا أمر معنوي، صفة إيمانية بينك الله جلّ في علاه، لا أحد يقدر يطّلع على إخلاصها إلّا الله عزَّ وجلَّ، يجوز واحد يصبر أَنَفَة -نعوذ بالله- فلا أجر له، وآخر يصبر يقول: والله سمعًا وطاعة يا ربي أنت الذي قلت وقولك الحق:-

{وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً} [سورة المزمل: 10]

إذن تذليل العقبات المعنوية التي ظهرت، والتي هي تتعلّق بالإيمان، وصلة الإنسان بالرحيم الرحمن سبحانه، كذلك ظهرت المادية، ما هي المادية؟ الاحتماء بالعشيرة، الاستنجاد بإنسان يحميك ويجيرك، الرسول الأعظم عليه

الصلاة والسلام وآله وصحبه الكرام، لمّا رجع من الطائف ما استطاع أنْ يدخل مكة المكرمة إلّا بجوار، فإذن البحث عن الطاقات المتاحة، حتى لو كانت من الكافر، فالرسول الأعظم صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم دخل مكة المكرمة بعد عودته من الطائف بجوار كافر.

سيّدنا أبو بكر رضي الله تعالى عنه خرج مهاجرًا إلى الحبشة، فرأوه مَنْ يعرفوه من أهل القوّة، وهم مشركون، قالوا: لا والله لا نسمح لك، أنت ليس من الشرف لنا أنْ تترك مكة، نحن عندك، أنت رجل كريم، رجل وديع، رجل رحمة، ارجع نحن نحميك. لم يقل: والله أنا لا، لا أدخل في حماية كافر.

استثمار الطاقات الموجودة شريطة لا تحترق، لذلك أنا قلت لكم قبل سنين: (اختراق بدون احتراق) فسيّدنا أبو بكر رضي الله تعالى عنه لمّا دخل بجوارهم ما جاء وتمسّح بأصنامهم، وقال: هؤلاء الذين يعبدون الأصنام طيّبون وكرماء وعندهم الرجولة والشهامة، لا، قَبِلها، لكنّ غيره الذي ليس عنده هذا السند، وليس عنده هذا الدعم، ماذا فعل؟ هاجر إلى الحبشة.

إذنْ الهجرة مادية ومعنوية، مادية أنْ ترك مكة، ترك موطنه، ترك مسقط رأسه.

استثمار للطاقات من حولنا، مَن يستطيع أنْ يقف معنا بدون أنْ نحترق؟ مرّة أخرى، اذهبوا اقرأوا: ما الذي دار بين الصحابة رضي الله تعالى عنهم لمّا هاجروا إلى الحبشة، ووفادة قريش ضد المهاجرين ومفاوضاتهم لسيّدنا النجاشي رضي الله تعالى عنه، وماذا دار في مجلس سيّدنا النجاشي؟ وماذا حصل؟ هذه كلّها هدايات، وبركات، وبيان معالم شخصية الداعي، وما ندعوا إليه، وهكذا.

هذه المرحلة الحقيقة أريدكم أنْ تدرسوها دراسة مستفيضة جدًّا إلى الهجرة، هذه هي المرحلة التي يحياها المسلمون اليوم على الكرة الأرضية، المسلمون لا دولة لهم، يوجد دول إسلامية، وهذه صرّح بها في معالم الطريق، وموجودة عندكم، يعني: معظم شعوبها مسلمون، بعض القوانين فيها إسلامية كالأحكام الشرعية، مثل الطلاق وكذا وكذا الى آخره، لكن الاقتصاد قائم على الربا، العلاقات الدولية قائمة على الأهواء والخيانات وضلالات وإلى آخرها، الإعلام -الله تعالى أعلم- على ماذا قائم، أمور كثيرة دستورية تشريعية مناقضة لدين الإسلام، ليس هذا الكلام لأجل أنْ أملي قلوبكم غيظًا وحقدًا على النّاس وعلى الدول التي نعيش فيها، لا والله أبدًا، وإنّما بيان للواقع فقط، حتى نفهم ما هي المرحلة التي نحن فيها، وماذا يجب علينا أنْ نفعل حتى نرحم النّاس، حتى نخرجهم من الظلمات إلى النّور، حتى نأخذ بأيديهم برفق، حتى نوجّه قلوبهم بدفء وحنان ومحبّة، هلمّوا إلينا أيّها الناس، فنحن نحبّ الخير لكم، نحن نريد إنقاذكم، فينبغي أنْ نفهم هذا.

وإنْ شاء الله تعالى إذا اقتضى الأمر أنْ نتحدّث عن معان أخرى هذه المرحلة، ثمّ بإذن الله عزَّ وجلَّ نتشاور حول الخطة العملية التي ينبغي أنْ نسلكها مهتدين بهدي سيّد المرسلين عليه الصلاة والتسليم وآله وصحبه أجمعين، وبما أكرمنا الله جلّ وعلا به من فقه لهذا الدِّين، المعبَّر عنه في آيات القرآن الكريم، ومنها قول ربنا سبحانه الذي أمر أنْ يُعلن عنه الدعاة إليه، وإلى سبيله القائل بعد أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم:

{قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [سورة سيّدنا يوسف عليه السلام: 108]

صـــدق الله العظيم، ونعوذ بالله تبارك وتعالى من الشـــرك، ومن أهل الكفر والضـــلال، ونســـأل الله عزّ شـــأنه أنْ يرزقنا حســـن الإتباع لسـيّد الأنبياء عليه الصـــلاة والســـلام وآله وصـــحبه الأتقياء في الأحوال والأفعال يا ذا الجلال والإكرام، إنّ ربنا سبحانه سميع مجيب.

سبحانك اللهمّ وبحمدك نشهد أنْ لا إله إلّا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

سـبحان ربّك ربّ العزّة عمَّا يصـفون وسـلام على المرسـلين، والحمد لله ربّ العالمين.

اللهمّ صلِّ وسلّم وبارك على حضرة خاتم الأنبياء، سيّدنا محمّد النبيّ الذي تنحل به العقد، وتنفرج به الكرب، وتقضـــى به الحوائج، وتنال به الرغائب، وحســـن الخواتيم، ويستسـقى الغمام بوجه الكريم، وأبيض يستسـقى الغمام بوجهه، ثمال اليتامى عصـمة للأرامل، يلوذ به الهلّاك من آل هاشـم، يلوذ به الهلّاك من بني آدم، فهم عنده في نعمة وفواضـــل، اللهمّ اجعلنا عنده يا الله، اللهمّ اجعلنا عنده يا الله، اللهمّ اجعلنا عنده يا الله، وعلى آله وصـــحبه، في كلّ لمحة ونفس بعدد كلّ معلوم لك برحمتك يا أرحم الراحمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، أسـتودعكم الله العظيم الذي لا تضـيع ودائعه، والسـلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.